

PUSKAS Working Paper Series

PWPS# 2016 - 01

مكانة الزكاة في بناء المجتمع الإسلامي

Muhammad Choirin
Muhammad Hasbi Zainal M

November 17, 2016



BAZNAS
Badan Amil Zakat Nasional

Muhammad Choirin

Center of Strategic Studies

The National Board of Zakat (BAZNAS)

Jln. Kebon Sirih Raya, 10340 Central Jakarta, Indonesia

Fax: +6221 – 3913777

Email: muhammad.choirin@puskasbaznas.com

and

Center of Postgraduate

As-Syafi'iyah Islamic University

Jl. Raya Jatiwaringin No. 12 Pondok Gede, Jakarta, Indonesia

Telp. +62 21 – 8484719, 84975907

Email: choirin.um@gmail.com

Muhammad Hasbi Zaenal M

Center of Strategic Studies

The National Board of Zakat (BAZNAS)

Jln. Kebon Sirih Raya, 10340 Central Jakarta, Indonesia

Fax: +6221 – 3913777

Email: mohd.hasbi@puskasbaznas.com

and

Islamic Economic Studies and Thoughts Centre (IESTC)

Universiti Kebangsaan Malaysia

Bangi, 43600 Selangor D.E., Malaysia

Email: mohd.hasbi@iestc.net

مكانة الزكاة في بناء المجتمع الإسلامي

محمد خيرين

ملخص البحث

إن الزكاة مصطلح قرآني انفردت بمعرفته أمة الإسلام. كما أن الزكاة ركن ثالث من أركان الإسلام، فإنها فريضة اجتماعية ومالية. بل تعد ركن هام في بناء الاقتصاد الإسلامي وفي تحقيق العدل الاجتماعي على السواء. لها أهمية كبيرة في محاربة الفقر وتحقيق التنمية في البلدان الإسلامية، غرضها سعادة الفرد والمجتمع وتحقيق التكافل والترابط بين أفرادها ونشر دعوة الإسلام في الأرض. بهذا فمكانة الزكاة في بناء المجتمع الإسلامي واضحة يحتاج إليها الباحثون والعاملون تطبيقها وولاية أمور المسلمين تعيينها في تحسين إدارة الزكاة، جمعا وتصرفا.

الكلمات الدالة

الزكاة، تنمية المجتمع، نهضة الأمة.

١. المقدمة

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة. فإنها فريضة شرعية يدفعها من يملك نصابها لمستحقيها أو لبيت مال المسلمين عن طيب نفس، ليتم صرفها في الأوجه التي أقرها الله سبحانه وتعالى.^١ قد تولى الله تبارك وتعالى تحديد مصارفها وفرض على عباده القادرين على دفعها وفقا لشروط محددة وفي مصارف موضحة وبنسب معينة بقوله

١ محمد دود علي (١٩٨٨)، نظام الاقتصاد الإسلامي، الزكاة والوقف. جاكارتا: مكتبة جامعة أندونيسيا، ص:

سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة: ٦٠. وقد جاءت هذه الآية في قلب آيات تتحدث عن النفاق والمنافقين. فالمنافقون منهم أهل الأموال الذين لا ينفقون إلا وهم كارهون. وقد ذكرت كلمة "الزكاة" في القرآن الكريم ثلاثين مرّة، في سبع وعشرين منها مقرونة بالصلاة من أجل أن تكون لها نفس أهمية الصلاة^٢، ولئلا يُضَيِّعَهَا النَّاسُ وَيَفْرَطُوا فِيهَا. قال تعالى موضحاً لذلك المفهوم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ سورة البينة: ٥. بهذا القول الإلهي، أصبحت الصلاة والزكاة ركنان أساسيان عظيمان معبران عن تعاليم الإسلام بكاملها.^٣

وقد شرع الله جل وعلا الزكاة لحكمة بالغة ومقصد مهم، حيث أثبتت الدراسات الاقتصادية الحديثة ما للزكاة من دور بالغ في دفع العجلة الاقتصادية، وكذا حل بعض المشكلات التي تعيق التنمية. فالزكاة حل اقتصادي للعديد من الأزمات والمشكلات التي تعصف بالنظم المالية في العديد من الدول. تحتلّ الزكاة في الإسلام مكانة رفيعة ومنزلة سامية ومرتبة متقدمة، فهي ركن من أركانه الأساسية وشعيرة من شعائره الدينية الكبرى، لحديث ابن عمر المشهور: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.^٤

^٢ يوسف القرضاوي (١٩٧٣)، فقه الزكاة: دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ص: ٤٢.

^٣ قريش شهاب (١٩٩٤)، توطين القرآن، دور الوحي في الحياة. جاكارتا: ميزان، ص: ٣٢٣.

^٤ أخرجه البخاري في صحيح، ٤٥١٥/٨.

بهذا الحديث تشكّل الزكاة أهم دعامة من دعائم الإسلام الاقتصادية الكبرى، كما أنّها تُكوّن موردًا من موارد المالية التي تقوي وتمجد الأمة على مرّ السنين، ووسيلة من وسائله الناجحة لتحقيق التضامن الاجتماعي والتكافل الإجباري بين أفرادها، ورحمة من رحماته تعالى إلى عباده المؤمنين.

٢. أثر الزكاة في تكوين المجتمع المسلم

أن الزكاة هي لون من ألوان العبادات التي فرضها الله تعالى وربّب عليها آثارًا اجتماعية كبيرة، من عطف ورحمة ومحبة ومودة وإخاء وتعاون وتآلف بين أفراد المجتمع المسلم. ° فالجتمتع الذي يقوم بأداء الزكاة هو الجتمتع يُباركُه الله عزّ وجلّ وتشملهم رحمته. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة: ٧١. ولأهميتها الكبيرة، وعد الله المؤدّين لها بالفلاح والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، كما جاء في سورة المؤمنون والذاريات، وقد توعّد المانعين بأشدّ أنواع العقاب، كما جاء في سورة التوبة.

فالمسلم إذا أخرج زكاة أمواله طوعا، يشعر أنّه يُساهم في بناء المجتمع، ويعمل على إسعاد إخوانه من المسلمين. ٦ وبهذا فإنه قد ساهم في تحقيق تضامن الاجتماع والتكافل بين أعضائه لأجل الاستقرار. ٧ إضافة إلى ذلك سيكون المجتمع في الآمان والاحترام من قبل أعضاء المجتمع، لأنّ ضعفاء المجتمع يستفيدون من كرم الأغنياء

° يوسف القرضاوي (١٩٩٣)، العبادات في الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة، ص: ٢٣٥.

٦ محمد عبد المنان (١٩٩٧)، الاقتصاد الإسلامي، نظريا وتطبيقا. جكجكرتا: داما بكتي برهما، ص: ٢٥٦.

٧ أدبورمان كريم (٢٠٠٢). الاقتصاد الإسلامي: دراسة في الاقتصاد الجزئي. جاكركتا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص: ١٣٣.

وجودهم بركة أموالهم. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أيُّ النَّاس أحبّ إلى الله؟ وأيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعهم للنَّاس، وأحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ سرورٌ يُدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دينًا، أو يطرد عنه جوعًا.^٨

لقد سدّ الله بالزّكاة جوانب عديدة في المجتمع. فاليتم الذي لا أهل له ولا مال له، والفقير الذي لا يجد له ولا لأسرته ما يسد حاجتهم، والمدين الذي أثقلت كاهله الديون، كلّ هؤلاء ينتظرون من الأغنياء أن يعطوهم من مال الله الذي آتاهم.^٩ قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ سورة الذاريات: ١٩. يقول الشيخ شلتوت رحمه الله كما نقل إلينا فاطمة عبد الحافي: "والمال في الإسلام كلّهُ للأمة تحفظه اليد المستخلفة فيه وتُتمّيه ثمّ تنتفع به كلّها. وما اليد المعطية واليد الآخذة إلاّ يدا لشخصية واحدة كلتاها تعمل لخدمة تلك الشخصية، ولا خادم منها ولا مخدوم، وإتّما هما خادمان لشخصية واحدة هي شخصية المجتمع الذي لا قوام له إلاّ بتكافل هاتين اليدين على خيره وبقائه".^{١٠}

ولا يخفى على كلّ ذي عقل أنّ مبدأ الزّكاة حين طبّق في العصور الإسلامية السّالفة، نجح في تنقيص الفقر وأقام التّكافل الاجتماعي، ونزع من القلوب حقد الفقراء على الأغنياء، وقلّل كثيرًا من الجرائم الخلقية والاجتماعية. وذلك بإزالة أسبابها من الفقر

^٨ أخرجه الطبراني في الكبير ١٢ / ٤٥٣.

^٩ رزalda (٢٠١٤)، الاقتصاد الإسلامي، نظرياته وتطبيقاته في العملية الاقتصادية. جاكوتا: رجا غرافندو، ص: ٢٤٨ بالتصرف.

^{١٠} فاطمة عبد الحافظ حسونة (٢٠٠٩)، أثر كل من الزّكاة والضريبة على التنمية الاقتصادية. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، ص: ٢٠.

والحاجة، وعود المؤمنين البذل والعطاء والسّخاء، وهيئاً سبل العمل لمن لا يجد العمل.^{١١} فإن على الفرد وهو يشق طريق الغنى أن يأخذ في اعتباره النهوض بالآخرين، والعمل على رفع دخولهم كلما ازداد دخله هو.

تلك هي مشكلة الفقر الذي يحاربه الإسلام، وهي مشكلة مردها الإنسان ذاته سواء بكفرانه بالنعمة من حيث إهمال استثمار الطبيعة، وعدم استغلال الموارد التي تفضل الله بها على عباده، أو بظلمه من ناحية سوء توزيع الدخول والثروات. وقد أشرنا إلى موقف الإسلام من ذلك سواء بما وضعه للإنتاج من أحكام، وبما قرره للتوزيع من تعاليم، فالأفراد يتساوون في حدي الكفاف والكفاية، ويتفاوتون بعد حد الكفاية، تفاوتاً يحقق غاية التعاون فيما بينهم لحاجة كل منهم للآخر.

ومعنى ذلك أن هذا التفاوت وإن كان مطلوباً، إلا أنه ليس مطلقاً؛ بل منضبطاً بالقدر الذي لا يسمح بالسفه أو الترف، وفي هذا فإن التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع مطلوب كذلك إذا احتل هذا التوازن، وتكون مسؤولية ذلك من واجب الفرد والدولة معاً.^{١٢} ولهذا يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ سورة الإسراء: ١٦. وجدير بالذكر أن نشير إلى أن علاج الفقر في الإسلام لا ينصرف فقط إلى الزكاة؛ بل يرجع أساساً إلى العمل، ونفقات الموسرين من الأقارب والصدقات المستحبة وغيرها.

ومع ذلك فإن أموال الزكاة توجه في معظمها لأغراض التوازن الاجتماعي؛ بهدف رفع حاجة الفئات المحتاجة، ولهذا كانت الزكاة من مسؤولية الدولة في جبايتها وإنفاقها،

^{١١} غازي عناية (١٩٩١)، الزكاة والضريبة: دراسة مقارنة. الجزائر: منشورات دار الكتب، ص ٢٧٦.

^{١٢} محمد مسعد محيي (١٩٩٨)، نظام الزكاة بين النص والتطبيق. بيروت: مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر،

وفي ذلك يتفق معظم رجال الفكر الإسلامي.^{١٣} فضمن حد الكفاية لكل فقير أو مسكين، وإنفاق الزكاة في مصارفها الشرعية، هو من مهام الدولة التي لا تستند إلى جهود فردية تعجز عن القيام بها.

إن علاج الفقر من جانب الزكاة يسهم في علاج الجهل والمرض. فمشكلة الجهل كثيراً ما يكون سببها الفقر، حيث لا يستطيع الفقير أن يتعلم ولا أن يعلم أولاده، لهذا كان هذا الهدف من الحاجات الأساسية التي يجب أن تتوفر للفقير من حصيلة الزكاة. وترتبط مشكلة المرض كذلك بمشكلة الفقر على أساس أنه إذا ارتفع مستوى المعيشة، وتوافر لدى جمهور الأفراد حسن التغذية، والمسكن الصحي، والقدرة على العلاج فإن المرض ينحصر مداه في أضيق نطاق. ونتيجة لذلك، فإن القضاء على الفقر يقضي على الجهل والمرض.

إن الدافع إلى الزكاة هو أمر الله، فهو ليس شيئاً عارضاً، أو نتيجة ثورة للفقراء مثلاً؛ كما هو في الفرائض الوضعية. ولم يكتفِ القرآن الكريم بالأمر بالزكاة وإطعام المساكين، بل أوجب الحَضَّ على هذا الإطعام؛ كما في قوله تعالى في شأن صاحب المال، والسلطان المستحق لعذاب الله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ سورة الحاقة: ٣٣-٣٤. ولأن الزكاة أمر من الله، فهي حق من حقوقه عز وجل، ومن هنا فهي ركن من أركان الإسلام، وبالتالي تصبح العلاقة الحقيقية بين الله وبين دافع الزكاة، وليست بين الغني والفقير. وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في كف الفقير).^{١٤}

^{١٣} أبو عبيد (القاسم بن سلام)، الأموال. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى، ١٩٦٧.

^{١٤} الكساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. المطبوعات العلمية ١٣٢٧، ٢ / ٣٦.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرجل ليتصدق بالصدقة من الكسب الطيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فيتلقاها الرحمن تبارك وتعالى فيريها كما يربي أحدكم فلوه، أو وصيفه، أو فصيلة.^{١٥} إنَّ الزكاة ليست مجرد إجراء مسكن ووقتي بالنسبة للفقير، وإنما هي معونة دورية منتظمة، فإذا هل العام الجديد، أو حلَّ الحول، حل الخير لهؤلاء الفقراء والمساكين، وكلما جاء الحصاد وافاهم نصيبهم من زكاة الزروع والثمار.

ومن أدب الإسلام أنه لا يكلف الفقير أن يأتي للغني ليتسلم منه نصيبه من الزكاة، وإنما يتعين أن يصل هذا الحق إلى الفقير في منزله، إن الأصل أن الزكاة توزع حيث جمعت، وما يبقى بعد ذلك يرسل إلى بيت المال الرئيسي؛ لينفق منه على المراكز القريبة من مكان تحصيلها، والتي تحتاج إلى معونة، ولهذا فإن الطابع المحلي أو الإقليمي للزكاة هو الأصل، وهو ما يجب أن يكون.

ولعل أبلغ تعبير عن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقوله عليه السلام: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم؛ كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.^{١٦} وإذا كان التكافل الاجتماعي يعني أن للفرد في المجتمع حقوقاً يجب معها على القوامين على هذا المجتمع أن يعطوا كل ذي حق حقه، وأن يدفعوا الضرر عن الضعفاء، وأن يسدوا خلل العاجزين، وإلا تأكلت لبنات المجتمع وانهار بنيانه. إذا كان هذا هو مفهوم التكافل الاجتماعي، فإن الزكاة تعتبر من هذه الناحية أول مؤسسة للتكافل الاجتماعي في التاريخ.

^{١٥} مجمع الزوائد "٣/ ١١٢.

^{١٦} مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم. كتاب البر والصلة الأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم... رقم الحديث .٤٦٩١

٣. الزكاة والتنمية الاقتصادية

تلعب الزكاة دورا حيويا في إنعاش الاقتصاد وتحقيق التنمية. وذلك نتيجة لثلاثة عوامل أساسية وهي محاربة الاكتناز والاستثمار و الإنفاق. وهذا المقام تفصيل لكل منها:

أ. محاربة الاكتناس

إن مفهوم الاكتناز ينصرف إلى المال الذي لم تؤد زكاته، وحبس عن التداول والاستثمار، وما كان غير معد في سبيل الله وهو سبيل النفع العام والخير والمصلحة العامة.^{١٧} يعد الاكتناز من أهم العقبات في سبيل التنمية الشاملة المستمرة، وذلك لما يؤدي إليه من تقييد لمستوى النشاط، وتعطيل للموارد الإنتاجية، سواء كان على مستوى الفرد أو على المستوى الحكومي. أن اكتناز أحد موارد الإنتاج يؤدي إلى عدم تمكن مستوى النشاط الاقتصادي من الوصول إلى الاستخدام الأمثل للموارد الإنتاجية المتاحة، إذ إن دفع المال المكتنز إلى الاستثمار الحلال هو الهدف الأساسي من فرض الزكاة. فحبس المال عن التداول حبس لتقدم النشاط الاقتصادي في الدول النامية، وقد توعد الله الكانزين بالعذاب الأليم، وسوى بين الاكتناز وأكل أموال الناس بالباطل، وفي هذا أبشع تشنيع لمن يكتنون الأموال.

من أهم الأهداف التي تسعى إليها الزكاة هي منع اكتناز الأموال وبقائها كموارد ساكنة لا تقدم منفعة حقيقية لاقتصاد المجتمع. ويتضح هذا المبدأ عند معرفة أن الإسلام لا يشجع إبقاء قطعة أرض لمدة أكثر من ثلاثة سنين دون إعمارها. وهذا المبدأ يعد أكثر أهمية بالنسبة للأموال السائلة والتي لا يجب أن تبقى مكتنزة وغير مستخدمة. وهذا

^{١٧} أبو بكر الصديق عمر المتولي، اقتصاديات النقود. بيروت: مكتبة وهبة. ص ٢.

المفهوم يتوافق مع مبادئ الاقتصاد العالمي الحالي والذي يؤكد أن اكتناز الأموال من أهم العوامل التي تعوق التنمية الاقتصادية للدولة لأن هذه الموارد الراكدة لا تدخل في عجلة الاقتصاد وبالتالي تقلل من حجم الموارد المحلية.

ب. تشجيع الاستثمار

والزكاة تحقق الدعوة لاستثمار الأموال، ويظهر ذلك واضحاً من خلال كثير من الأمور، من ذلك أن أدوات الإنتاج معفاة من الزكاة مهما بلغت قيمتها وحجمها من الصغر أو الكبر، كورش النجارة والحداة والزراعة والآتها وأدواتها، وأصول المصانع والمعدات الثقيلة، ولا يخضع للزكاة إلا الأموال السائلة وما في حكمها، من مواد خام، ومواد شبه مصنعة أو مصنعة، أو ما يسمى بالريح الصافي وقت وجوب الزكاة، وما ذلك إلا تشجيعاً على الاستثمار ودفع كل قادر على استغلال أمواله وت مث يرها في كل عمل حلال وبذلك ينجو من إثم الكانزين.

إن مفهوم الزكاة يشجع ضمناً استثمار الأموال المكتنزة لأن أموال الزكاة إذا لم تستثمر وتنمى سوف تتلاشى مع مرور السنين. وبالتالي فإنه من الأساسيات أن تستثمر الأموال لكي تنمى و تدفع الزكاة من أرباح هذا الاستثمار وليس من أصل رأس المال. على صعيد آخر، فإن أموال الزكاة لا يجب أن تستخدم فقط لسد احتياجات الفقراء الاستهلاكية مثل الطعام والملبس، بل قد تستخدم في خلق أدوات للاستثمار لهؤلاء الفقراء حتى يستطيعوا بدورهم أن يمتلكوا أدوات الإنتاج التي تضمن لهم دخل ثابت وسد احتياجاتهم بصفة مستمرة.^{١٨}

^{١٨} إبراهيم الطحاوي (١٩٧٤)، الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً، القاهرة. مجمع البحوث الإسلامية، ص ٣٥٦.

فبهذا المبدأ، قد تُستعمل أموال الزكاة في مشروع بناء المصانع والمؤسسات التجارية لتحويل الفقراء من متلقين للزكاة إلى دافعي الزكاة. وتعد هذه الوسيلة من أكفأ الوسائل وأحسنها شرعا حيث تحول المجتمع من أحوال الضعف والتخلف إلى مجتمع منتج، خالي من البطالة و الفقر. ولذلك، فإن الزكاة إذا استخدمت بهذه الطريقة سوف تساهم في إرساء العدل في المجتمع و تقليل الفجوات القوية بين الطبقات الغنية والفقيرة.

ج. تشجيع الإنفاق

العامل الاقتصادي الثالث الذي مرتبط بالزكاة هو مبدأ تشجيع الإنفاق. يعد هذا العامل مطبقا للنظريات الاقتصادية المعاصرة. لأن الاستثمار وحده ليس كافي لتحقيق تنمية اقتصادية حقيقية إن لم يتواجد السوق الذي يستوعب شراء المنتجات الصادرة عن هذه الاستثمارات. فهناك علاقة مترابطة بين الاستثمار والإنفاق لأن تقليل الإنفاق يؤثر على السوق ويقلل من قدراته على استيعاب المنتجات. فإن الجزء المأخوذ زكاةً يؤخذ من أموال الأغنياء بعد إشباع الحاجات الأساسية والضرورية لمالك المال ومن يعول ومن تلزمه نفقته، مع التقيد بالضوابط الإسلامية من غير إسراف أو تقتير.

ولو نظرنا إلى القرآن الكريم، لوجدنا كلمة إنفاق مذكورة خمسة وسبعين مرة في نطاق تشجيع المسلمين على صرف أموالهم على شكل زكاة وصدقة. وذلك ليس فقط لتطهير النفس ومساعدة الفقراء والمساكين ولكن أيضا المساعدة على تداول الأموال بين الناس مما يؤدي إلى زيادة الطلب في الأسواق وإنعاش الاقتصاد.

إن تحديد الإنفاق في نطاق محدد بين الإسراف والتقتير مع التحذير من مخاطرها، والعناية بتوزيع الثروات وبيان أصحابها، ومن يستحقها ضمن مصارف الزكاة،

وغير ذلك يعطينا فكرة واضحة عن مقاصد الشريعة في التوجيه الاقتصادي المتوازن.^{١٩} وكما قلنا الغني لا يدفع الزكاة شرعاً إلا بعد اكتمال النصاب، وسد حاجاته الأصلية له ولمن يعول، إذ إن الزكاة تكون من الوحدات الفائضة عن الحاجة، ومسألة المنفعة الحدية في الإسلام مسألة تختلف عن الاقتصاد الوضعي حيث إن هناك اعتبارات للإنفاق كما بينته الآيات السابقة.

ويتضح ذلك أيضاً من تشجيع الإسلام على الإنفاق ليس فقط على الفقراء والمستضعفين وإنما أيضاً على أهل البيت مما يعد في حد ذاته صدقة. مما سبق، يتضح أن الأموال لا يجب أن تكنز وأن أموال الزكاة يجب أن تستخدم في مصارف استثمارية واستهلاكية في آن واحد لكي تحقق دورها الفعلي في إنعاش الاقتصاد.

٤ . دور الزكاة في القضاء على الفقر

تعد مشكلة الفقر من بين أبرز المشكلات التي تواجه الدول والمجتمعات. ونتيجة لذلك تضع الدول خططاً وإستراتيجيات لمكافحة الفقر وأحياناً لا تنجح هذه الخطط في تحقيق أهدافها، لكن وعند النظر إلى التاريخ الاقتصادي لمعالجات الفقر تبرز التجربة الإسلامية في الزكاة لتكون معلماً بارزاً في القضاء على هاتين المعضلتين. الزكاة وسيلة فعالة للقضاء على الفقر،^{٢٠} حيث يتكرر دفعها كل عام لمن يستحقها ولها أثرها المهم في علاج الانكماش الاقتصادي، وأثبتت التجارب أن أنجح أساليب معالجة البطالة والفقر هو تأهيل العاطلين عن العمل بتمكينهم من القيام بمشاريعهم الصغيرة.

^{١٩} علي بن سليمان المر داوي (١٩٨٠)، الأنصاف. بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص ٢١٩.

^{٢٠} أحمد مفتاح (٢٠٠٨)، تجديد إدارة الزكاة في مكافحة الفقر بأندونيسيا. مجلة أنوفسيو، عدد ٧، رقم ١٤، ص: ٤٣٠.

فالإسلام قد حث على عمل الفرد إلى جانب تسديد حاجته لتيسر له الحياة الكريمة، وتجعله في وضع معيشي أفضل. كما وأن للزكاة تأثيراً على الاستهلاك، وعلى توزيع الدخل والثروة والاستثمار، ومنع الزكاة يؤدي إلى خلق مشكلات اقتصادية واجتماعية في المجتمع مثل السرقة والتسول والجريمة.

وللوصول لتحقيق الهدف المنشود من تطبيق نظام الزكاة، لا بد من تطوير مؤسسة الزكاة في كل الدول الإسلامية، وتأهيل الفقراء للمساهمة في العملية الإنتاجية لصالح استقرار المجتمع ونموه، لأن بعض المشاريع تتطلب تمويلاً ربما تعجز الحكومات عن تغطيته، مما يلزم البحث عن مصادر تمويل جديدة لتحريك الأسواق ومعالجة الركود الاقتصادي، وزيادة الاستثمار في الاقتصاد و منع تراكم الثروات بأيدي فئة قليلة من الأفراد، وهذا ما سوف يحقق عدالة اجتماعية، ويساعد على تدني الجريمة والمشاكل الاجتماعية، لأن أكثر هذه المشاكل بسبب الحاجة والفقير والبطالة.

للزكاة أثر كبير واضح على زيادة فرص العمل والتقليل من البطالة، والحد من مشاكلها.^{٢١} فالزكاة كما عرفنا تؤدي إلى زيادة الاستثمار، ودفع الناس للبحث عن مجالات يستثمرون فيها أموالهم، لسد النقص الحاصل من أداء الزكاة، كما أن الزكاة تؤدي إلى زيادة الاستهلاك بشكل مباشر، ولا سيما المواد الاستهلاكية غير الكمالية وهذا يؤدي

^{٢١} فاطمة عبد الحافظ حسونة (٢٠٠٩)، أثر كل من الزكاة والضريبة على التنمية الاقتصادية. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، ص: ١١٤.

إلى زيادة الإنتاج . فنتيجة لرغبة أصحاب الأموال بزيادة استثماراتهم، وزيادة الإنتاج المتأتي من زيادة الطلب، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى زيادة الطلب على الأيدي العاملة، وإن لم يكن كذلك فإنه يؤدي إلى استغلال الموارد المعطلة عن الاقتصاد، إذ ربما تكون بعض المؤسسات لا تعمل بطاقتها الإنتاجية الكاملة، وإن عملت بطاقتها الإنتاجية فإن أثر الزكاة سيؤدي إلى زيادة القاعدة الإنتاجية على المدى الطويل.

وبذلك عدت الزكاة من أفضل الطرق التي تحول المجتمع من مجتمع حامل إلى مجتمع منتج اقتصادياً، وخال من البطالة والفقير، وهي إعلان حرب على الاكتناز وحبس الأموال التي تتسبب في الركود الاقتصادي، وهذا هو أهم أهداف الاقتصاد في الإسلام، ولذلك فإن الزكاة إذا استخدمت بهذه الطريقة سوف تكون أداة فاعلة في تطهير الأموال، وتوزيع الثروات والدخل على جميع طبقات المجتمع، وتقليل الفوارق بين الطبقات الغنية والفقيرة، والمساهمة في تحريك عجلة الحياة الاقتصادية وإرساء العدل في المجتمعات المسلمة.

يعد تفشي ظاهرة الفقر من أعظم الآفات المجتمعية، و عليه فقد حرص الإسلام على اجتثاث هذه الظاهرة من خلال تشريعه للعديد من الأحكام التي تهدف إلى تحقيق التوازن في توزيع الثروة والتي من أهمها الزكاة، إذ أن من أهم أهداف الزكاة توسيع دائرة التملك وتحويل أكبر عدد مستطاع من الفقراء والمعوزين إلى مالكين بما يكفيهم شر

السؤال ومن يعولون. ويتفق الكثير من الباحثين أن للزكاة أثر مباشر في تحقيق عدالة توزيع الثروة و اجتثاث الفقر و أسبابه من خلال أداة دوريتها التي تعمل على إعادة توزيع الثروة بين الأغنياء والفقراء، وذلك من خلال اقتطاع جزء من دخول الأغنياء وثروتهم وإعطائها للفقراء.

٥ . خاتمة

إن الزكاة من أهم وسائل الاقتصاد الإسلامي لتحقيق التنمية الشاملة، فلا يمكن أن تقوم تنمية اقتصادية لأي دولة دون أن يحصل هناك تنمية اجتماعية توازيها وبذلك نجد أن تطبيق فريضة الزكاة ضماناً لتحقيق التنمية الشاملة للإمكانيات البشرية والمادية، بشكل متوازن لا خلل فيه. إن مصارف الزكاة تدعم أركان المجتمع الإسلامي القوي وتوفر الكفاية لكل أفرادها. إن ضريبة الزكاة تؤدي زيادة الحافز للاستثمار في الاقتصاد الإسلامي أكثر منه في الاقتصاديات الأخرى. أن التطبيق الصحيح الكامل لهذا التشريع الآلهي ولهذه الفريضة شبه الغائبة من المجتمعات الإسلامية المعاصرة، يضمن تحقيق الحل الأمثل والنهائي لجميع المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما وضحناه خلال الدراسة.

المصادر والمراجع

- إبراهيم الطحاوي (١٩٧٤)، الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً، القاهرة. مجمع البحوث الإسلامية.
- أبو بكر الصديق عمر المتولي (د.س)، اقتصاديات النقود. بيروت: مكتبة وهبة.
- أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية الطبعة الأولى، ١٩٦٧.
- أحمد مفتاح (٢٠٠٨)، تجديد إدارة الزكاة في مكافحة الفقر بأندونيسيا. مجلة أنوفسيو، عدد ٧، رقم ١٤.
- أديورمان كريم (٢٠٠٢). الاقتصاد الإسلامي: دراسة في الاقتصاد الجزئي. جاكرتا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- رزالندا (٢٠١٤)، الاقتصاد الإسلامي، نظرياته وتطبيقاته في العملية الاقتصادية. جاكرتا: رجا غرافندو.
- علي بن سليمان المر داوي (١٩٨٠)، الأنصاف. بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- غازي عناية (١٩٩١)، الزكاة والضريبة: دراسة مقارنة. الجزائر: منشورات دار الكتب.
- فاطمة عبد الحافظ حسونة (٢٠٠٩)، أثر كل من الزكاة والضريبة على التنمية الاقتصادية. فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.
- قريش شهاب (١٩٩٤)، توطين القرآن، دور الوحي في الحياة. جاكرتا: ميزان.
- الكساني (١٣٢٧)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. المطبوعات العلمية.
- محمد دود علي (١٩٨٨)، نظام الاقتصاد الإسلامي، الزكاة والوقف. جاكرتا: مكتبة جامعة أندونيسيا.
- محمد عبد المنان (١٩٩٧)، الاقتصاد الإسلامي، نظريا وتطبيقا. جكجاكرتا: دارما بكتي بروما.

محمد مسعد محيي (١٩٩٨)، نظام الزكاة بين النص والتطبيق. بيروت: مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر.

يوسف القرضاوي (١٩٧٣)، فقه الزكاة: دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة. بيروت: مؤسسة الرسالة.

يوسف القرضاوي (١٩٩٣)، العبادة في الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة.